*دعوى اجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، والسور*

*بحث فى دفاع عن القراَن*

*إعداد أ/ مروة سيد محمد*

*قسم التفسير وعلوم القراَن*

*كلية العلوم الإسلامية – جامعة المدينة العالمية*

*شاه علم – ماليزيا*

*marwa.sayed@mediu.edu.my*

**خلاصة ـــ هذا البحث يبحث في دعوى اجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، والسور**

**الكلمات المفتاحية : روايات ، القرآن ، الصحابة**

1. **المقدمة**

 **الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، سوف نتحدث في هذا المقال عن دعوى اجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، والسور**

1. **عنوان المقال**

**قضية ترتيب الآيات، والسور:**

**نريد أن نقف مع هذا الترتيب، ونتساءل هل كان ترتيب الآيات والسور باجتهاد الصحابة، كما يدعي الطاعنون، أم كان بتوقيف من النبي ؟**

**دعوى اجتهاد الصحابة في ترتيب الآيات، والسور:**

**أورد الطاعنون عدة روايات تتعلق بترتيب الآيات، والسور يدللون بهذه الروايات على تدخل الصحابة } في ترتيب آيات، وسور القرآن على حسب زعمهم.**

**ومما أوردوه ما أخرجه ابن أبي داود في كتاب (المصاحف)، أن الحارث بن خزيمة أتى بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة، فقال: "أشهد أني سمعتهما من رسول الله  ووعيتهما. فقال عمر: أنا أشهد لقد سمعتهما، ثم قال أي عمر: لو كانت ثلاثة آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا آخر سورة من القرآن، فألحقوها في آخرها".**

**نقول في الرد العلمي على هذه الدعوى: نقسم الرد إلى أمرين، أو نقسم الرد إلى قضيتين: القضية الأولى: قضية ترتيب الآيات، والقضية الثانية: قضية ترتيب السور.**

**أما عن قضية ترتيب الآيات:**

**أولًا: إن ترتيب الآيات ثبت بالتوقيف عن النبي ، فقد كان جبريل ينزل بالآيات على رسول الله ، ويرشده إلى السورة التي هي منها.**

**ويرشده أيضًا إلى موضع هذه الآيات في تلك السورة، وكان النبي  بعد ذلك يأمر كتبة الوحي بكتابتها، وإدراجها في الموضع الذي أرشده إليه جبريل، ومن الأدلة على ذلك ما يلي:**

**عن جبير بن نفيل أن رسول الله  قال: ((إن الله ختم سورة البقرة بآيتين أعطيتهما من كنزه، الذي تحت العرش فتعلموهن، وعلموهن نساءكم، فإنهما صلاة، وقرآن ودعاء)). ومن ذلك أيضًا ما رواه الإمام مسلم عن أبي الدرداء أن النبي  قال: ((من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال)).**

**قال الإمام السيوطي -رحمه الله-: "ومن النصوص الدالة على ذلك إجمالًا ما ثبت من قراءته  لسور عديدة كالبقرة، وآل عمران، والنساء في حديث حذيفة، والأعراف في المغرب أي: في صلاة المغرب.**

**وقد أفلح في الصبح أي: قراءته  لسورة المؤمنون في صلاة الصبح، ثم قال أي: الإمام السيوطي -رحمه الله-: تدل قراءته  لها أي: لهذه السور بمشهد من الصحابة أن ترتيب آيها توقيفي.**

**وما كان الصحابة ليرتبوا ترتيبًا سمعوا النبي يقرأ على خلافه، فبلغ ذلك مبلغ التواتر". كذلك لا بد، وأن نعلم من خلال ردنا على تلك الدعوى، لا بد أن نعلم أن الإجماع قد انعقد على أن ترتيب الآيات ثبت بالتوقيف عن النبي .**

**فنقول: قد انعقد الإجماع على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة، كان بتوقيف من النبي عن الله  وأنه لا مجال للرأي، والاجتهاد في ذلك الأمر، ولم يُعلم في ذلك مخالف.**

**قال الإمام السيوطي -رحمه الله-: "الإجماع، والنصوص مترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي، ولا شبهة في ذلك، أما الإجماع فنقله غير واحد منهم: الزركشي في (البرهان)، وأبو جعفر بن الزبير، وعبارته يقول فيها: ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ، وأمره من غير خلاف في هذا بين المسلمين.**

**قال الإمام مكي بن أبي طالب: ترتيب الآيات في السور هو من النبي ، ولما لم يأمر بذلك في أول براءة تركت بلا بسملة، أي: لما يأمرهم النبي  أن يقرءوا البسملة في أول سورة براءة تركت".**

**وهذا مما يدل دلالة أكيدة على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة، كان بتوقيف من النبي ، وأنه لا دخل للصحابة في شيء من ذلك على الإطلاق.**

**قال القاضي أبو بكر الباقلاني: "ترتيب الآيات أمر واجب، وحكم لازم فقد كان جبريل يقول: ضعوا آية كذا في موضع كذا، وقال أيضًا أي: الإمام القاضي أبو بكر الباقلاني -رحمه الله-: ولا خلاف أن ترتيب آيات كل سورة على ما هي عليه الآن في المصحف توقيف من الله، وعلى ذلك نقلته الأمة عن نبيها ".**

**ونختم الكلام على هذه الدعوى، التي رددنا عليها فيما سبق نختم الكلام بإيراد شبهة، وردها.**

**نقول: لا يرد على هذا الإجماع الذي نقلناه قبل ذلك لا يرد عليه ما رواه الإمام أحمد، وابن أبي داود عن عباد بن عبد الله بن الزبير قال: "أتى الحارث بن خزيمة بهاتين الآيتين من آخر براءة** {ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ} **[التوبة: 128].**

**أتى بهاتين الآيتين إلى عمر بن الخطاب، فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري، والله إلا أني أشهد لسمعتها من رسول الله ، ووعيتها، وحفظتها.**

**فقال عمر: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله ، ثم قال أي: عمر: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا سورة من القرآن، فضعوها فيها فوضعتها في آخر براءة".**

**فهذا الأثر يدل دلالة واضحة على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة كان باجتهاد من الصحابة، وللجواب على هذا الأثر، وهذه الشبهة، نقول: هذا الأثر مردود سندًا، ومتنًا، وفيما يلي تفصيل ذلك:**

**أولًا: رد الأثر من ناحية السند: هذا الأثر ضعيف من ناحية الإسناد، إذ إن في سنده محمد بن إسحاق، وهو مدلس، ولم يصرح في هذه الرواية بالتحديث، وعلى ذلك، فالرواية مردودة من ناحية السند.**

**ثانيًا: رد هذا الأثر من ناحية المتن، فنقول في ذلك: هذا المتن منكر إذ إنه يدل على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة كان باجتهاد من الصحابة، وهذا يعارض الإجماع الذي سبق نقله. هذا يعارض الإجماع الحاصل على أن ترتيب الآيات في السورة الواحدة، كان بتوقيف من النبي ، قال الحافظ ابن حجر -رحمه الله-: "ظاهر هذا -أي: هذا الأثر- أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم.**

**يقول الحافظ: وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئًا من ذلك إلا بتوقيف". وعليه فإن هذا المتن منكر من وجهين:**

**الوجه الأول: أنه معارض للقاطع، وهو ما أجمعت عليه الأمة، ومعارض القاطع ساقط عن درجة الاعتبار، فهذا خبر ساقط مردود على قائله.**

**الوجه الثاني: أن هذا الخبر، أو أن هذا المتن معارض لما لا يحصى من الأخبار الدالة على خلافه، قال الإمام السيوطي -رحمه الله-: "يعارضه ما أخرجه ابن أبي داود عن أبي بن كعب أنهم جمعوا القرآن.**

 **القضية الثانية: قضية ترتيب السور:**

**أما ترتيب السور على ما هي عليه الآن، فقد اختلف فيه هل هذا الترتيب بتوقيف من النبي  أو من فعل الصحابة } أو يفصل في ذلك؟ الأقوال في تلك القضية على ثلاثة أقوال:**

**القول الأول: أن النبي  فوض ذلك إلى أمته من بعده، وذلك يعني أن هذا الترتيب إنما هو من فعل الصحابة، وممن ذهب إلى ذلك الإمام مالك -رحمه الله- وقد استدلوا على ذلك بعدة أدلة منها ما يلي:**

**أولًا: أنه لو كان ترتيب السور بتوقيف من النبي  لظهر، وفشا، ونقل مثله، وفي العلم بعدم ذلك النقل دليل على أنه لم يكن منه  توقيف في شيء من ذلك، فدل ذلك على أن ترتيب السور كان باجتهاد الصحابة.**

**ثانيًا: أن مصاحف الصحابة كانت مختلفة في ترتيب السور قبل جمع القرآن في عهد عثمان >، ولو كان الترتيب توقيفيًّا منقولًا عن النبي  ما ساغ لهم أن يهملوه، ويتجاوزوه. فمن ذلك أن مصحف أبي بن كعب قدمت فيه النساء على آل عمران، ومن ذلك أن مصحف ابن مسعود كان مبدوءًا بالبقرة، ثم النساء، ثم آل عمران، ثم الأعراف، ثم الأنعام.**

**وروي أن مصحف علي > كان مرتبًا على حسب النزول، فأوله سورة العلق، ثم المدثر ثم ق ثم المزمل ثم تبت، ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي، والمدني.**

**ولكن يبقى لنا أن نعلق على هذه الأدلة، ويبقى لنا أن نبين القول الثاني وأدلته، ويبقى لنا أن نبين القول الثالث وأدلته.**

**المصادر والمراجع**

1. **السيوطي، جلال الدين السيوطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (الإتقان في علوم القرآن) ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1984م**
2. **الزركشي، بدر الدين الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، (البرهان في علوم القرآن) ، بيروت، نشر دار المعرفة، 2001م**
3. **الدجوي، يوسف أحمد نصر الدجوي، (الجواب المنيف في الرد على مدعي التحريف) ، القاهرة، مطبعة القاهرة، 1969م**
4. **الجزيري، محمد شوقي عبد الرحمن الجزيري، (أدلة اليقين في الرد على مطاعن المبشرين والملحدين) ،دار الإرشاد للطباعة والنشر، 1416هـ**
5. **أبي داود، ابن أبي داود، تحقيق: محب الدين واعظ، (المصاحف) ، دار البشائر الإسلامية، 2002م**
6. **الباقلاني، القاضي أبي بكر محمد الباقلاني، (نكت الانتصار لنقل القرآن) ، الإسكندرية، منشأة المعارف، 1971م**
7. **الزرقاني، محمد عبد العظيم الزرقاني، (مناهل العرفان في علوم القرآن) ، بيروت، دار الفكر، 1996م**
8. **أبو شهبة، محمد بن محمد أبو شهبة، (المدخل لدراسة القرآن الكريم) ، الرياض، نشر دار اللواء، 1987م**
9. **بن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن حزم، (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، بيروت، دار الجيل،1405هـ**
10. **أبو زهرة، محمد أبو زهرة، (المعجزة الكبرى القرآن) ، دار طيب للنشر، 2003م**
11. **مزروعة، حاتم محمد منصور مزروعة، (دعاوى تحريف القرآن الكريم) ، طبعة جامعة الأزهر، 2007م**
12. **الباقلاني، أبو بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق: عماد الدين حيدر، (إعجاز القرآن) ، مؤسسة الكتب الثقافية، 1991م**